كان محمد العبيط ضخمًا، كل ما يمت إليه هائل الحجم، ذراعاه، كتفاه، عنقه المدكوك، صدره المنفوخ، أما أغلظ ما فيه، قدميه وقفاه، لم يوجد حذاء يناسب مقاسه قط، حتى عندما اهتم أحد المحسنين من المتعاملين الأوائل وأبدى اهتمامًا، لم يقبل أى عامل للأحذية صنع زوج مناسب، ليس لانعدام وجود القالب فهذا يمكن تصنيعه، ولكن لصعوبة ضبط المقاس، فأى لمسة لقدمى محمد العبيط تطلق منه حركة لا يمكن التبنؤ بنتائجها، إذ تدفع بهذا الكيان الهائل إلى الانفراط غير المحسوب، والاندفاع إلى أى جهة.

كان محمد العبيط يأكل ما يجود به القوم، لديه كيس متين من مخلفات الجيش الإنجليزى يضع فيه بقايا الأرغفة وقطع اللحم والحلوى وربما البطيخ، إذ يحين الوقت، عندما يشعر بالجوع يجلس القرفصاء على مقربة من المبنى، ويبدأ المضغ والبلع. عندئذ يستطيل عنقه المدغوم، ويمتد إلى الأمام، وتغرورق عيناه بالدموع.

إذا كانت نقطة الضعف ساقيه وقدميه، فإن عنقه أكثر حساسية، إذا لمسه أحدهم ينتفض موزعًا ذراعيه على أقصى مدى، بعض شبان الناحية تباروا فى لمسه وسرعة الانفضاض عنه، تراهنوا فيما بينهم على ذلك.

لم يعرف أحد أين يرقد؟ أو متى يغمض عينيه؟ إذ كان يرى فى الليل هائمًا حول المطر عندما كانت الحقول تحيطه والعمران لم يمتد بعد، كذلك لم يعرف أحد أين يقضى حاجته، أو أين يغتسل؟

كثيرًا ما وقف أمام المقر وزعق بألفاظ غير مفهومة، وأحيانًا كان يلفظ حروفًا تشبه اسمًا أنثويا، ويحرك يديه بما يعنى أنه أتاها، ويؤكد البعض أن عددا منهن سعين إليه، واستمتعن بفحولته المطلقة، غير عابئات